مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

المياه وانواعها في القرآن الكريم

Water and its types in the Holy Quran

محمد احمد حسين

الجامعة المستنصرية – كلية التربية الاساسية قسم التربية الإسلامية

Mohamed.ahmed@uomostansiriyah.edu.iq

الملخص :

الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وطهراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد يرجو بها الفوز والنجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلى الله وسلم وبارك عليه في الدنيا والآخرة وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد تكرر ذكر الماء في القرآن والسنة مرات كثيرة، وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من (٥٩) مرة، وقد استدل به المولى جل شأنه وتقدست أسماؤه أكثر من مرة؛ فتارة يستدل به الله على الوحدانية، وتارة يستدل به عل البعث، وتارة ثالثة يخبر الحق سبحانه وتعالى أنه أساس الحياة، وتارة ينبئ المولى عنه أنه من جند الله فإن شاء جعله ملاذا آمنا لأوليائه، وإن شاء جعله قاصما لأعدائه، وتارة رابعة يضرب به المثل ليبين للناس حقيقة ما أنزل إليهم من الوحي، وتارة خامسة يبين الحق منته على عباده بإمدادهم بالماء وجعله عذبا فراتا.

ومن أجل ذلك رأيت أن أنظر في الآيات التي ورد فيها ذكر الماء في القرآن الكريم وأحاول أن أتلمس دلالاتها العقدية وما فيه من البراهين الإلهية الدالة على حقائق الوحي من الوحدانية والبعث وأساس الخلق ، وقد وجدت بحمد الله أدلة كثيرة وبراهين عجيبة، وأمثلة موافقة لما قصد الحق جل شأنه تقريبها للخلق، مما قصد الحق أن يعظمه في نفوسهم ويرغبهم فيه، أو مما أراد المولى أن يزهدهم فيه ويبين لهم حقارته، أو أراد أن يحذرهم من سوء مغبته ووخيم عاقبته ، كما وجدت ما يقارب (٢٣) نوع من الماء ذكر في القرآن.

الكلمات المفتاحية: المياه، القران الكريم

Abstract:

Praise be to Allah who made every living thing from water, and praise be to Allah who created human beings from water and made them lineage and purity, and I bear witness that there is no god but Allah alone, with no partner, the testimony of a servant who hopes for victory and salvation on the day when neither wealth nor children will be of any benefit, and I bear witness that Muhammad is the servant and Messenger of Allah, who conveyed the message,

fulfilled the trust, and strove in the cause of Allah with the true striving, so may Allah's prayers and peace and blessings be upon him in this world and the hereafter, and upon his family and companions, all of them. Now then: Water has been mentioned many times in the Qur'an and Sunnah, and it has been mentioned in the Noble Qur'an more than 59 times, and the Almighty and Most Holy has used it as evidence more than once; Sometimes God uses it as evidence of His Oneness, sometimes as evidence of the Resurrection, and sometimes the Truth, Glory be to Him, informs us that it is the foundation of life, and sometimes the Master informs us that it is one of God's soldiers, so if He wills, He makes it a safe haven for His friends, and if He wills, He makes it a destroyer of His enemies. A fourth time, He uses it as an example to show people the truth of the revelation that He sent down to them, and a fifth time, the Truth shows His favor to His servants by providing them with water and making it sweet and fresh. For this reason, I decided to look at the verses in which water is mentioned in the Holy Qur'an and try to find out their doctrinal implications and the divine proofs in them indicating the truths of revelation of oneness, resurrection, and the basis of creation. I found, praise be to God, many proofs and amazing proofs, and examples that agree with what God Almighty intended to bring closer to creation, what God intended to magnify in their souls and make them desire it, or what God wanted to make them lose interest in and show them its insignificance, or wanted to warn them of its bad consequences and dire end. I also found approximately 23 types of water mentioned in the Qur'an.
Keywords: Water, Holy Quran.

الفصل الاول : الاطار المنهجي

اولا: مشكلة البحث :-

ورد ذكر الماء في سور كثيرة من القرآن العظيم، سواء على طريق الاستدلال، أو على طريق الامتنان، أو من خلال ضرب المثل، أو من خلال ما أودعه الله فيه من حلي أو طعام، أو ما سخر الله على ظهره من الفلك، ذلك أن هذا الماء الذي نشربه عذبا سائغا قد لا توليه العقول عناية خاصة لكثرة معالجتها له وتصرفها فيه، وهوان أمره عليها في أحيان كثيرة، ولقربه من العباد، ولمسيس حاجتهم إليه في طعامهم وشرابهم وسائر شؤون حياتهم، ولكون الله قد أودع فيه من الأسرار والمنافع ما تعجز العقول عن الإحاطة به، ولكون هذا الأمر لا يمكن إنكار الاحتياج إليه ولا إنكار قدرة الله على إنزاله وإخراج جميع المطاعم والمآكل بسببه، ولا يجادلون أيضا في علمهم بأن الله قادر على أن يسلبهم إياه فيجعل ماءهم غورا لا يستطيعون له طلبا ولا يصلون إليه سبيلا؛ كل ذلك وغيره مما وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم استدلالاً به وإلزاماً بما يعرفونه عنه من وجوب عبادته سبحانه وحده لا شريك له، وتحريم صرف العبادة لغيره ممن لا يملكون لعباد نفعا ولا ضرا.

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

اهمية البحث والحاجة اليه:

في هذا المجال رأيت أن أكتب فيه من باب تدبر القرآن والتفهم لخطاب ربنا جل وعز، ومن باب بيان أدلة القرآن وبراهينه وإفرادها وتقريبها للقارئ الذي قد تثقله أعباء الحياة وسرعة تقلبها وتشغله عن مطالعة المطولات من كتب التفسير والعقائد، ومن باب إمداد الداعي للحق ببعض البراهين العقلية المحسوسة التي أشار إليها القرآن الكريم، ومن باب آخر هي دعوة للباحثين للتدبر في القرآن العظيم فلا تزال فيه كثير من الفرص البحثية، بل كثير من الأدلة العلمية العقلية الحسية التي لم يتناولها الباحثون الأكاديميون في أبحاثهم ودراساتهم... كل ذلك يؤكد أهمية الموضوع في نظري ويحتم علي عرضه وتناوله.

هدف البحث:

كنت ألحظ منذ فترة وأنا أتلو القرآن العظيم أن هناك ترادفا وتتابعا بين الآيات التي يستدل بها المولى جل شأنه بذكر الشمس والقمر أو بذكر النهار ، وعنهما يصدر النور، والنهار هو ظرفه، كنت ألحظ ترادفا بين ذلك وبين ذكر الماء، سواء كان هذا الذكر للماء أو للسحاب أو للبحر أو للنهر أو لما ينتج منه من جنات وثمار، أو يضرب به المثل على البعث والحياة أو على بقاء الحق وذهاب الباطل.

وكنت أرى هذا التوالي العجيب في سور القرآن فرأيت أن أبحث عن حكمة هذا الإيراد والترادف أو عن وجه الشبه فرأيت كلاما جميلا للشيخ عطية محمد سالم في تتمته لكتاب أضواء البيان يشير فيه إلى وجه بديع في دلالات القرآن من ذكر الضوء أو النور أو النهار، وأن هذا إشارة إلى الوحي أو الرسالة المحمدية، وهو قوله عند تفسير صدر سورة التكوير: (وهنا يقسم بحالات الكواكب على أصح الأقوال، في ظهورها واختفائها وجريانها، وبـــ (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ): أقبل وأدبر، أو أضاء وأظلم، (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ): أي أظهر وأشرق ، وهما أثران من آثار الشمس في غروبها وشروقها.

والمقسم عليه : هو أن القرآن قول رسول كريم، كأنه يقول : إن القرآن المقسم عليه حاله في الثبوت والظهور، وحال الناس معه كحال هذه الكواكب الثوابت لديكم في ظهورها تارة، واختفائها أخرى. وكحال الليل والصبح، فهو عند أناس موضع ثقة وهداية كالصبح في إسفاره، قلوبهم متفتحة إليه وعقولهم مهتدية به، فهو لهم روح ونور، وعند أناس مظلمة أمامه قلوبهم، عمى عنه بصائرهم، وفي آذانهم وقر، وهو عليهم عمى، وأناس تارة وتارة كالنجوم أحيانا، وأحيانا، تارة ينقدح نوره في قلوبهم، فتظهر معالمه فيسيرون معه، وتارة يغيب عنهم نوره فتخنس عنه عقولهم وتكنس دونه قلوبهم، كما قال تعالى عنهم: (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) [١].

[١] سورة البقرة : ٢٠.

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

وليس بعيدا أن يقال: إنه من وجه آخر ، تعتبر النجوم كالكتب السابقة ، مضى عليها الظهور في حينها والخفاء بعدها. (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ): هو ظلام الجاهلية. (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ): يقابله ظهور الإسلام، وأنه سينتشر انتشار ضوء النهار، ولا تقوى قوة قط على حجبه، وسيعم الآفاق كلها مهما وقفوا دونه:

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [٢].

وقد يكون في هذا الإيراد غرابة على بعض الناس، ولا سيما أني لم أقف على بحث مستقل فيه، ولا توجيه يشير إليه، ولكن مع التتبع وجدت اطراده في مواضع متعددة ، وجدير بأن يفرد برسالة[٣].

الفصل الثاني : الاطار النظري

المبحث الأول

مفهوم المياه ومصادره

المطلب الأول : مفهوم المياه

أولا: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: «الميم والواو والهاء أصل صحيح واحد، ومنه يتفرع كلمه، وهي الموه أصل بناء الماء و تصغيره ، قالوا: ما احسن موهه وجهه أي ترقرق ماء الشباب فيه يقال: ماهت السفينة تموه وتماه. دخل فيها الماء. وأماهت الأرض : ظهر فيها نزّ، وأماه الفحل : ألقى ماءه في رحم الأنثى، ورجلٌ ماه القلب، أي: كثير ماء القلب»[٤] ، وأصله موه بالتحريك ؛ لأنه يجمع على أمواه في القلة ومياه في الكثرة[٥] .

ثانيًا : المعنى الاصطلاحي:

الماء – هو «جوهر سيال يضاد النار برطوبته ،وبرودته وقيل : الماء جسم لطيف بسيط شفاف يبرد غلة العطش، به حياة كل نام»[٦].

---

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الامين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، ١٩٩٥، ٤٤٤/٨ .

(٣) سورة الصحف.

(٤) مقاييس اللغة ٢٨٦/٥.

(٥) الصحاح ٢٢٥٠/٦ .

(٦) التوقيف على مهمات التعريف، المناوي ص ٢٩٤.

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

وعرف الماء أيضًا بأنه: «سائل عليه عماد الحياة، يتركب من اتحاد الهيدروجين والأكسجين بنسبة حجمين من الأول إلى حجم من الثاني، وهو في نقائه شفاف لا لون له، ولا طعم، ولا رائحة، ومنه العذب والملح المعدني ، والمقطر »[٧] . ثم وقفت على كلام نفيس للطاهر بن عاشور في تفسيره لسورة الشمس حيث يقول : (وابتدئ بالشمس لمناسبة المقام إيماء للتنويه بالإسلام؛ لأن هديه كنور الشمس لا يترك للضلال ،مسلكا وفيه إشارة إلى الوعد بانتشاره في العالم كانتشار نور الشمس في الأفق، وأتبع بالقمر لأنه ينير في الظلام كما أنار الإسلام في ابتداء ظهوره في ظلمة الشرك، ثم ذكر النهار والليل معه لأنهما مثل لوضوح الإسلام بعد ضلالة الشرك، وذلك عكس ما في سورة الليل لما يأتي... إلى أن قال: وابتدئ القسم بالشمس ... إيماء إلى أنها مثل لظهور الإيمان بعد الكفر، وبث التقوى بعد الفجور ؛ فإن الكفر والمعاصي تمثل بالظلمة، والإيمان والطاعات تمثل بالضياء، قال تعالى:(وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ) [٨]. ثم قال في تفسيره لسورة الضحى ومناسبة القسم بـــ (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ) أن الضحى وقت انبثاق نور الشمس فهو إيماء إلى تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء به، وأن الليل وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو الوقت الذي كان يسمع فيه المشركون قراءته من بيوتهم القريبة من بيته أو من المسجد الحرام.

ولذلك قيد (اللَّيْلِ) بظرف (إِذَا سَجَى) . فلعل ذلك وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم[٩]. هذا تفسيره للآيات التي وردت فيه الإشارة إلى الشمس أو القمر أو النهار، وإليك تفسيره للآيات التي ورد فيها ذكر للبحر حيث يقول عند قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا) [١٠]. قال رحمه الله : (عود إلى الاستدلال على تفرده تعالى بالخلق. استدلال الاية مكانة عظيمة عن القدرة الإلهية وهو التقاء الأنهار والأبحر كما سيأتي، ان حالة تمثيل الدعوة الإسلامية واختلاط المؤمنين مع المشركين يمثل حالة تلاقي البحرين أحدهما عذب فرات، والآخر ملح أجاج. وأن الله تعالى كما جعل بين البحرين برزخا يحفظ العذب من أن يكدره الأجاج، وفي هذا تثبيت للمسلمين بأن الله يحجز عنهم ضر المشركين لقوله: (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى) [١١] ، وفي

---

[٧] المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية القاهرة ص ٥٩٥.

[٨] سورة المائدة : ١٦.

[٩] *تفسير التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ ، ٣٤٨/٣٠ وانظر أيضا ٣٥١/٣٠ منه.*

[١٠] سورة الفرقان : ٥٣.

[١١] سورة ال عمران : ١١١.

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

ذلك تعريض كنائي بأن الله ناصر لهذا الدين. ولأجل ما فيها من التمثيل والتثبيت والوعد كان لموقعها عقب جملة (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) [١٢]

ثم سرت على هذا المنوال أجمع نصوص هذا البحث وأدلته وأقوال العلماء في هذه الآيات وإن كنت لست من أرباب هذا الباب لكن حبب إلي شيء فتبعته وجمعته– وكانت النية أن أجمع كل الآيات التي تحدثت عن هذه الموضوعات وأقارن بينها وأحاول أن أخرج بنتيجة تحقق بعض ما في النفس تجاه هذا الموضوع، ويسر الله لي من ذلك خيرا كثيرا ، وكان يثور في نفسي سؤال مفاده لم أجد كلاما للمتقدمين من المفسرين في هذا الغرض؟ وهذا بحسب ما تيسر لي الوقوف عليه وأنا مقر بالتقصير في ذلك وهم أوفر ،علما ، وأصح قصدا ، وأسلم منهجا، وأكثر تدبرا لكتاب الله، فوقفت موقف المتردد؛ لأن الخير في اتباع من سلف، والشر في مخالفة هديهم ونهجهم. وخشيت أن يكون من التفسير الإشاري الذي لا يسنده دليل، وبينما أنا أتابع النظر في هذا الموضع وقفت على قول القرطبي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [١٣].

(وقيل: هو مثل ضربه الله للقرآن، ولصدور من في الأرض. والمعنى: أنزل من السماء قرآناً، فسلكه في قلوب المؤمنين، ثم يخرج به ديناً بعضه أفضل من بعض، فأما المؤمن، فيزداد إيماناً ويقيناً، وأما الذي في قلبه مرض فإنه يهيج كما يهيج الزرع)[١٤]. بينما هذا التفسير بنصه أورده الشوكاني رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية ثم تعقبه بقوله : (وهذا بالتغيير أشبه منه بالتفسير)[١٥].

ثم وقفت على قول الألوسي رحمه الله عند تفسير سورة الضحى حيث يقول: (ومن الناس من فسر الضحى بوجهه صلّى الله عليه وسلم ... كما ذكر الإمام ، وقال : لا استبعاد فيه وهو كما ترى.... وقال الإمام يحتمل أن يقال الضحى رسالته صلى الله عليه وسلم ، والليل زمان احتباس الوحى فيه؛ لأن في حال النزول حصل الاستئناس، وفي زمان الاحتباس حصل الاستيحاش، أو الضحى نور علمه تعالى الذي يعرف المستور من الغيوب، والليل عفوه تعالى الذي به يستر جميع العيوب، أو الضحى إقبال الإسلام بعد أن كان غريبا، والليل إشارة إلى أنه سيعود غريبا... ولا يخفى

---

[١٢] سورة الفرقان : ٥٢.

[١٣] سورة الزمر : ٢٢.

[١٤] الجامع لأحكام القرآن : ابو عبدالله محمد بن احمد الانصار القرطبي ، تحقيق : احمد البردوني وابراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط٢، ١٩٦٤ ، ٢٤٦/١٥ .

[١٥] فتح القدير : محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير – دمشق ، ط١ ، ٤٤٢/٤ .

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

أنه ليس من التفسير في شيء، وباب التأويل والإشارة يدخل فيه أكثر من ذلك)[١٦]. فعدلت بعد ذلك عن هذا البحث بشموله وإحاطته بهذا الموضوع، وقصرته على الدلالات العقدية للماء في القرآن الكريم، وهو ولا شك جزء من الموضوع السابق، لكن لهذا الموضوع ما يسنده ويعززه من النصوص الصريحة في الكتاب الكريم وفي أقوال أهل العلم.

المطلب الثاني : مصادر المياه

ومن الأدلة التي استدل الله بها على الوحدانية إنزال الماء من السماء، وضمن هذا البرهان في أول أمر ورد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)) [١٧] ، حيث امر الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الايه بعبادته واكد عليهم ذلك بثلاثة براهين وهي: انه جعل الارض فراشاً ، انه جعل السماء بناءً، أنه أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لعباده.

فهو هنا سبحانه وتعالى يحتج عليهم بما يرونه ويلامسونه ويباشرونه من الأرض والسماء والماء، ويبين لهم أن الذي أنزل الماء فأخرج به الثمرات وجعل الأرض فراشا حقيق بأن يعبد وحده، وألا يجعل معه شريك في عبادته، أي مهدا كالفراش مُقَرّرَة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات ، (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) وهو السقف، كما قال في الآية الأخرى:(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) [١٨] ، وأنزل لهم من السماء ماء والمراد به السحاب هاهنا في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد: أنه الخالق الرازق مالك الدار ، وساكنيها ، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يُشْرَك به غيره)[١٩].

ان تفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي للاية: يعد هذا تكليف وامر اللهي الى عامة الناس، ، أي العبادة الجامعة، لامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري)[٢٠].

---

[١٦] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ،٣٧٣/١٥ .

[١٧] سورة البقرة : ٢١-٢٢.

[١٨] سورة الانبياء : ٣٢.

[١٩] تفسير القرآن العظيم ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩٩هـ ، ١٩٤/١.

[٢٠] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ٢٠٠٠ ، ص ٤٤.

فالقارئ يلاحظ أن ابن كثير والسعدي رحمهما الله أكدا أن الله استدل بالماء على ربوبيته المستلزمة لوحدانيته، وهذا أمر لا يحتاج إلى بيان وتوضيح، لكن لما كان الموضوع هنا هو دراسة الماء دراسة عقدية نصصت على ذكرهما لهذا الأمر.

وإن كان ابن كثير والسعدي رحمهما الله ذكرا في هذه الآية ثلاثة براهين؛ فقد رأى فيها الرازي رحمه الله خمسة دلائل عقلية فقال : (المسالة الثالثة – أي من المسائل المتعلقة بهذه الآية: أن الله تعالى ذكر ههنا خمسة أنواع من الدلائل: اثنين من الأنفس، وثلاثة من الآفاق، فبدأ أولاً بقوله : (خَلَقَكُمْ)، وثانياً بالآباء والأمهات وهو قوله (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) ، وثالثاً بكون الأرض فراشاً، ورابعاً بكون السماء بناء، وخامساً بالأمور الحاصلة من مجموع السماء والأرض وهو قوله: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) ، ولهذا الترتيب أسباب الأول أن أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه وعلم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره، وإذا كان الغرض من الاستدلال إفادة العلم فكل ما كان أظهر دلالة كان أقوى إفادة، وكان أولى بالذكر، فلهذا السبب قدم ذكر نفس الإنسان، ثم ثناه بآبائه وأمهاته، ثم ثلث بالأرض لأن الأرض أقرب إلى الإنسان من السماء، والإنسان أعرف بحال الأرض منه بأحوال السماء ؛ وإنما قدم ذكر السماء على نزول الماء من السماء وخروج الثمرات بسببه؛ لأن ذلك كالأمر المتولد من السماء والأرض، والأثر متأخر عن المؤثر ؛ فلهذا السبب أخر الله ذكره عن ذكر الأرض). ومن لطيف استدلال القرآن الكريم أنه يستدل بالدليل العقلي والبرهان الجلي الذي يمكن لأي عاقل أن يدرك البرهان ومدلوله ، فتقوم به الحجة عليه ولا يحتاج لمن يفسر له البرهان أو يوضح له الحجة، لأن القرآن الكريم أنزل للناس كافة؛ ولذا لم تعاند كفار قريش الرسول صلى الله عليه وسلم لعدم وضوح أدلته؛ بل كانوا يفهمونهـــا ويدركون مستلزماتها وما يترتب عليها ، وإنما كان يمنعهم الاستكبار أو تقليد الآباء، وهذا البرهان الذي نحن بصدده من هذا النوع، فأي برهان أعظم حجة بل أي برهان أقرب للنفس من هذه البراهين الواردة في هذه الآية فاستدل عليهم بالأرض والسماء والماء، حتى قال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه في سورة الواقعة:(أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ) [٢١]. فالبرهان الذي ضرب لهم هو الماء الذي يشربونه ويباشرونه، وهذه براهين وأدلة كل يباشرها ويدرك طريقة الاحتجاج بها فلا تحتاج إلى تكلف أو طريقة فلسفية عقيمة، وهذه هي عادة القرآن الكريم، ومما يوضح ذلك ويبينه هذا النقل من شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله وهو عالم عرف منهج القرآن وتربى عليه، وعرف منهج الفلاسفة والمتكلمين وأدرك عسره وضلاله حيث يقول : (ومما يدل على ذلك أيضا أنه سبحانه يحتج على فساد مذهب من عبد غيره بالأدلة العقلية التي تقبلها الفطر والعقول، ويجعل ما ركبه في العقول من حسن عبادة الخالق وحده وقبح عبادة غيره

[٢١] سورة الواقعة : ٦٨-٦٩ .

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

من أعظم الأدلة على ذلك، وهذا في القرآن أكثر من أن يذكر ههنا ، ولولا أنه مستقر في العقول والفطر حسن عبادته وشكره، وقبح عبادة غيره وترك شكره ؛ لما احتج عليهم بذلك أصلا ، وإنما كانت الحجة في مجرد الأمر[٢٢]، وطريقة القرآن صريحة في هذا كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢))[٢٣]. فذكر سبحانه أمرهم بعبادته، وذكر اسم الرب مضافا إليهم لمقتضى عبوديتهم لربهم ومالكهم، ثم ذكر ضروب إنعامه عليهم بإيجادهم وإيجاد من قبلهم، وجعل الأرض فراشا لهم يمكنهم الاستقرار عليها والبناء والسكني، وجعل السماء بناء وسقفا، فذكر أرض العالم وسقفه، ثم ذكر إنزال مادة أقواتهم ولباسهم وثمارهم، منبها بهذا على استقرار حسن عبادة من هذا شأنه، وتشكره الفطر والعقول، وقبح الإشراك به وعبادة غيره)[٢٤].

ومما يطرد في القرآن أن الله يثبت دلائل الربوبية بذكر المخلوقات الدالة على وجود الخالق، وقد يذكر العباد بالنعم التي أسداها إليهم ليروا بره وإحسانه المستلزم رحمته، كما في هذه الآيات التي مرت معنا من سورة البقرة وقد تضمنت ذكر الماء وما يخرج بسببه من الثمرات والمآكل للناس والدواب ، وهذا مما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الأصفهانية في أكثر من موضع[٢٥].

ويرى الشيخ الجبرين رحمه الله . في شرحه للعقيدة الطحاوية أن هذه الآية وما يماثلها في القرآن وردت لتقرير توحيد الربوبية – وهو في القرآن كثير – والقصد منه الإلزام بتوحيد الإلهية، فإن آية البقرة التي نحن بصددها – ذكر الله بها تقرير توحيد الربوبية بستة أدلة ، وهي خَلْقهم ، وخَلْق ،آبائهم وخَلْق الأرض، وخَلْق السماء، وإنزال المطر ، وإنبات النبات، يقول: اعبدوا الله الذي فعل هذه الأشياء، فأنتم تعترفون بأنه الذي خلقكم، وأنه الذي خلق من قبلكم ؛ لأنه خالق السماوات والأرض وأنه مرسل السحاب ومنزل المطر ومنبت النبات، فلماذا تعبدون غيره؟ فيحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على التوحيد الثاني، فما دام أنهم يقرون بتوحيد الربوبية فيلزمهم توحيد العبادة. وهذا المعنى أشار إليه الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في كتابه عقيدة التوحيد وذكر استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية فى الفصل الخامس منه. وهذا المعنى أيضا أشار إليه شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله في

---

[٢٢] أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، مصدر سابق ٤٤٤/٨.
[٢٣] سورة البقرة : ٢١-٢٢.
[٢٤] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة : محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت٨/٢ .
[٢٥] شرح العقيدة الأصفهانية : تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن علي بن عبدالسلام بن عبدالله الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد ، المكتبة العصرية - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ ، ص٦-٢٠٠ .

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية[٢٦]. وهذه الآية نظائرها في القرآن كثيرة ، فتارة يذكر المولى جل شأنه وتقدست أسماؤه خلق السموات وإنزال الماء من السماء، وتارة يذكر إنزال الماء وإخراج الثمرات بسببه، وتارة يذكر إنزال الماء وإحياء الأرض بسببه، وتارة وتارة إلخ... كما ستراه فيما يلي من الآيات التي لن نطيل بذكر أقوال العلماء فيها؛ لأن الشاهد قد حصل من ذكر الاستدلال بالماء على الوحدانية. ومن هذه الآيات التي ورد فيها هذا الاستدلال الآيات التالية من سورة البقرة قال جل ثناؤه: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤))[٢٧]. ففي هاتين الآيتين ذكر أعظم الوحدانية، ثم أورد الاستدلال عليها بكل هذه الأشياء المخلوقة العظيمة للتدليل على أنه لا يستحق العبادة أحد سواه ، حيث طرح ابن عاشور عن هذه الآية موقع الحجة من الدعوى ذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره، وهي حالة من الناس الذين اعتمدوا الانكار فيما طرح من افكار وجاء من ايات وهذا دلائل وحجة عليهم .... والقصد في هذه الآية إثبات وحانية الله تعالى ووجوده لأنها إذا أثبتت بها الوحدانية ثبت الوجود بالضرورة. حيث ان اثباتات هذه الاية للرد على الكفار وابطال حججهم فقد قرر الله في هذه الآية دلائل كلها واضحة من أصناف المخلوقات وتتضمن أسرار يتباين الناس في معرفتها حتى يتناول كل صنف من العقلاء مقدار الاثباتات والدلائل منها على قدر مقدرتهم وعلومهم)[٢٨].

وهذا كما اكد ابن عاشور إن هذه الأدلة يمكن أن يتناولها كل صنف من العقلاء كل منهم على قدر قريحته وفهمه ذلك أن منهج القرآن منهج خال من التكلف والتعقيد، يوصل سالكه إلى المقصود بأيسر طريق وأقل مؤونة ، ويدفع عنه الشك والحيرة ويدله إلى سوء الصراط، قال ابن القيم رحمه الله موضحا منهج القرآن في ذلك : (هذا القرآن وحده لمن جعل الله له نورا أعظم آية ودليل وبرهان على هذه المطالب –أي إثبات ربوبية الله ووحدانيته وأسمائه وصفاته – وليس في الأدلة أقوى ولا أظهر ولا أصح دلالة منه ، من وجوه متعددة جدا، كيف وقد أرشد ذوي العقول والألباب فيه إلى أدلة هي للعقل مثل ضوء الشمس للبصر لا يلحقها إشكال ولا يغير في وجه دلالتها إجمال، ولا يعارضها تجويز واحتمال تلج الأسماع بلا استئذان، وتحل من العقول محل الماء الزلال من الصادي الظمآن فضلها على أدلة أهل العقول والكلام كفضل الله على الأنام، لا يمكن أحدا أن يقدح فيها قدحا يوقع في اللبس إلا إن أمكنه أن يقدح بالظهيرة صحوا في طلوع الشمس ومن عجيب شأنها أنها تستلزم المدلول

[٢٦] شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبد الله الجبرين ، حققها وراجعها جماعة من العلماء ، المكتب الاسلامي - بيروت ، ط ٩ ، ١٩٨٨، ص ٤٦ .
[٢٧] سورة البقرة : ١٦٣-١٦٤.
[٢٨] تفسير التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، ٧٤/٢، ٧٥ .

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

استلزاما . ثم ذكر سورا وآيات أخر وبين جناية أهل الكلام والفلسفة على الأمة وبين عسر منهجهم في الاستدلال على القضايا الشرعية وبين أنها فرقت الأمة ومزقتها فأين هي عن براهين القرآن ثم قال : فالله سبحانه نهج لعباده الطريق الموصلة إلى معرفته والإقرار بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فأعرض عنها هؤلاء واشتقوا طريقا موصلة إلى تعطيل الخالق ونفي أسمائه وصفاته وأفعاله، وقالوا للناس : لا يتم إيمانكم ومعرفتكم بالصانع إلا بهذه الطريق، فلما سلكها من سلكها أدت به إلى ما أسره الحيرة والشك والتأويل والتجهيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)[٢٩].

وهذا الأمر وهو الاستدلال بالماء على الوحدانية يتكرر كثيرا في القرآن الكريم طريقة القرآن الكريم في تكرار المعاني والأدلة والبراهين، إذ هو مثاني تثنّى فيه الآيات والقصص والعبر والبراهين، وقد يختلف فهم العالم عن غيره في الاستدلال بهذه الآية على هذا الأمر أو ذاك، فهذه الآية – أي آية البقرة – التي نحن بصددها ذكر كثيرا من المفسرين أنها دالة على الوحدانية، بينما ذكر الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان أنها دالة على البعث[٣٠]. وسأرجئ الاستشهاد بقوله إلى المطلب المخصص للاستدلال بالماء على البعث.

المبحث الثاني

المياه في القرآن

المطلب الأول : انواع المياه في القرآن الكريم

نوّع الباري جل شأنه وتقدست أسماؤه في تذكير البشر بربوبيته وإلهيته لهم، وأنه يجب أن تصرف العبادة له سبحانه؛ ولأن العقول متفاوتة، والأفهام مختلفة؛ فإن الباري رحمة بعباده ينوع لهم في البراهين، ويبدئ ويعيد فيها، فيذكر لهم من البراهين المتعلقة بالسماء أو الأرض أو الأنفس، بل إن الدليل الواحد تجده في القرآن الكريم يعرض على الناس في أكثر من صيغة ، وبأكثر من أسلوب، وخير شاهد على ما نحن بصدده هذا الماء الذي نشربه كم ساقه الله دليلا على التوحيد ومستلزماته؟

وهاهنا نوع من أنواع استدلالات القرآن الكريم بالماء حيث يقول المولى جل في علاه: چڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ چ[٣١]، ففي مفتتح هذه السورة ذكر الله إنزاله لكتابه، ثم ذكر موقف الكافرين على وجه العموم من المرسلين، ثم ساق جملة من البراهين السماوية والبراهين الأرضية ليرشدهم من خلالها إلى أن الذي أنزل الكتب وأرسل الرسل هو الذي يملك السماء والأرض وما فيهما

---

[٢٩] *الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة : محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق : علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض - السعودية ، ط ١ ، ١٢٠٦/٣ .*

[٣٠] أضواء البيان ، مصدر سابق ، ١٦/١ ، ١٧.

[٣١] سورة الحجر : ٢٢.

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

وما بينهما، وأنه أهل لأن يعبد وحده ، وأنه سيبعث العباد يوم القيامة ويحاسبهم على أعمالهم فالله جل في علاه قد ذكر في آية سورة الحجر أنه أنزله وأن البشر لا يستطيعون حفظه وخزنه وجعل ذلك من البراهين الدالة على استحقاقه العبودية. قال الفخر الرازي رحمه الله عند تفسيره لآية الحجر: (اعلم أنه تعالى لما شرح الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الأرضية، وهي أنواع: ثم ساقها على وجه التفصيل، فجعل النوع الأول مد الأرض، والثاني جعل الجبال رواسي، والثالث إنبات النبات، والرابع أن كل شيء فخزائنه عند الله)[٣٢].

وطريقة القرآن الكريم أنه كما ينوع في سوق الأدلة فإنه يراعي عند السياق أن يكون ذلك فيه تدرج من الأعلى إلى الأدنى أو العكس ثم يعرّج على ما بينهما، وقال بن عاشور: (ان الاستدلال بالظواهر السماوية والارضية إلى استدلال بظواهر كرة الهواء الواقعة بينهم، وذلك للاستدلال بفعل الرياح وبما يحتوي من فائدة)[٣٣].

وفي سورة المؤمنون يذكر عباده أنه أنزل الماء بقدر ، وأنه قادر على الذهاب به، ولو ذهب به لهلك من على ظهرها، قال جل ثناؤه: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) [٣٤]. وهذه الآية جاءت في مفتتح سورة المؤمنون بعد أن ذكر فيها صفات عباده المفلحين – جعلنا الله وإياك منهم – أردفها بدلائل معرفته وتوحيده، لأن العبادة لا تكون إلا عن معرفة بالله سبحانه وتعالى؛ ولذا ساق الله بعد هذه الآيات أنواعا من الأدلة الدالة على وحدانيته ووجوب عبادته، ومن هذه الأدلة التي أقام بها الحجة على عباده إنزال الماء من السماء، وقدرته سبحانه على الذهاب به. وقال الفخر الرازي معلقا على آيات سورة المؤمنون: (امر الله سبحانه وتعالى بالعبادات المتقدمة في اياته، وان الانشغال بالعبادة لايجوز الا بعد معرفة الخالق – لا جرم – عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر من الدلائل أنواعاً :

النوع الأول : الاستدلال بتقلب الإنسان في أدوار الخلقة وأكوان الفطرة وهي تسعة ثم ساقها.

النوع الثاني من الدلائل الاستدلال بخلقه السموات.

النوع الثالث : الاستدلال بالامطار ونزول وتأثيراتها في النبات[٣٥].

وفي سورة الملك ذكر أنه سبحانه وتعالى في بدايتها أنه بيده الملك، وختمها بأن هدد المعرضين بقوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)

---

[٣٢] التفسير الكبير : ابو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، دار احياء التراث العربي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩ / ١٣٠ وما بعدها . أكثرت من النقل في هذه الفقرة عن الرازي رحمه الله؛ لأنه من القلائل الذين يشيرون إلى هذا النوع من الاستنباط، والسبب والله أعلم أنه من أرباب المدرسة العقلية لذا يعنى بمثل هذه الأمور، بينما السلف رحمهم الله جميعا يعنون بالتفسير المأثور ؛ حماية لكتاب الله من أن يقال فيه بغير علم .

[٣٣] تفسير التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، ٣٠/١٣ .

[٣٤] سورة المؤمنون : ١٨ .

[٣٥] التفسير الكبير ، مصدر سابق، ٢٦٨/٢٣ .

[٣٦]. فجعل الماء من ضمن آيات قدرته ومن براهين ربوبيته، فعلى هذا أقول إننا رأينا في الآيات السابقة وفي غيرها – مما سيمر بنا في هذا البحث، وأعلم أن ما فاتني بسبب قصور البشر أعظم مما أحطت به – أن الله جعل الماء من الدلائل العظيمة التي يرشد من خلالها عباده إلى عبادته سبحانه.

وبين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان أن المسائل المتعلقة بالماء في هذه الآية أي – آية الحجر – قد وردت في آيات أخر، وهذه المسائل التي اشتملت عليها الآيات هي:

الأولى: أن الله أنزله بقدر أشار إليها في قوله: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) [٣٧] .

والثانية : هي إسكانه الماء المنزل من السماء في الأرض بينها في قوله جل وعلا: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) [٣٨].

والثالثة : هي قدرته على إذهابه أشار لها في قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) [٣٩]، ثم قال: وهذه الآيات القرآنية تدل على أن الله يجمع الماء في المزن، ثم يخرجه من خلال السحاب... وبين أنه مع الإنعام العام على الخلق بإنزال المطر بالقدر المصلح وإسكان مائه في الأرض ليشربوا منه هم وأنعامهم، وينتفعوا به أبى أكثرهم إلا الكفر به، وذلك في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) [٤٠] . أما الحافظ الحكمي رحمه الله فقد أورد آيات كثيرة منها آية الحجر ثم قال: (والآيات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها، بل كل آيات الله الظاهرة والمعنوية وجميع مخلوقاته العلوية والسفلية تدل على كمال قدرته الشاملة التي لا يخرج عنها مثقال ذرة، كما أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، وعبارة العبد تقصر عن ذلك المعنى العظيم)[٤١] ، وقال محمد بن قاسم رحمه الله بعد أن ذكر أن منهج القرآن هو الاستدلال بالظواهر الكونية الدالة على الربوبية وأنها مستلزمة لتوحيد الألوهية –: (وهذا في القرآن كثير يقيم تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادة، بضرب الأمثال وغير ذلك مما يعلمون به أن ذلك الله وحده، ويقرون به على ما يجحدونه من عبادته وحده)[٤٢] . وذكر القرآن الكريم ٢٣ نوعاً من المياه، لكل نوع خصوصيته، وهي:

(١) الماء الغائض :

---

[٣٦] سورة الملك : ٣٠.
[٣٧] سورة الحجر : ٢١.
[٣٨] سورة الزمر : ٢١ .
[٣٩] سورة الملك : ٣٠.
[٤٠] سورة الفرقان : ٤٨ -٥٠.
[٤١] معارج القبول ، مصدر سابق ، ١/١٣٨-١٣٩ .
[٤٢] حاشية كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن قاسم ، مصدر سابق ، ص٧٥ .

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

وهو الذي نزل في الأرض وغاب فيها وغاض الماء: قل ونقص. قال تعالى:(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [٤٣].

(٢) الماء الصديد :

وهو شراب أهل جهنم قال تعالى: (مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) [٤٤] .

(٣) ماء المهل:

القطران ومذاب من معادن أو زيت مغلي . يقول تعالى: (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ) [٤٥].

(٤) ماء الأرض :

الذي خرج من الأرض، وكميته ثابتة تتوزع مطراً وينابيعاً على البحر واليابسة. يقول تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) [٤٦].

(٥) الماء الطهور :

وهو كل ماء وافر تطهر به الأجسام والآنية والأعتدة. يقول تعالى : (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) [٤٧].

(٦) ماء السماء :

وهو ماء المطر والندى العذب النقي الطيب، يقول تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)) [٤٨].

(٧) الماء الأجاج :

شديد الملوحة وهو غير مستساغ للشراب. قال تعالى: (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) [٤٩].

(٨) الماء المهين :

هو الضعيف والحقير ويقصد به مني الرجل لضعف تحمل مكوناته للعوامل الخارجية. يقول تعالى: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) [٥٠].

---

[٤٣] سورة هود : ٤٤ .
[٤٤] سورة ابراهيم : ١٦.
[٤٥] سورة الكهف : ٢٩ .
[٤٦] سورة المؤمنون : ١٨ .
[٤٧] سورة الفرقان : ٤٨ .
[٤٨] سورة النحل : ١٠-١١ .
[٤٩] سورة فاطر : ١٢.

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

(٩) الماء /غير الآسن :

وهو الماء الجاري المتجدد الخالي من الملوثات. يقول تعالى في وصف أنهار الجنة: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) [٥١].

(١٠) الماء الحميم :

حم الماء : أي سخن ، والماء الحميم : شديد السخونة والغليان، يقول تعالى: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) [٥٢].

(١١) الماء المبارك :

الذي يحيي الأرض ويطهرها وينبت الزرع ويفيض بالخير. قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) [٥٣].

(١٢) الماء المنهمر :

المتدفق بغزاره ولفترات طويله من السماء فيهلك الزرع والحرث . يقول تعالى: (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) [٥٤].

(١٣) الماء المسكوب :

الماء الملطف للأرض والذي يعطي الإحساس بالراحة للعين. يقول تعالى: (وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢)) [٥٥].

(١٤) الماء الغور :

الذي يذهب في الأرض ويغيب فيها فلا يُنتفع منه. يقول تعالى: (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) [٥٦].

(١٥) الماء المعين :

الذي يسيل ويسهل الحصول عليه والانتفاع به يقول تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) [٥٧].

(١٦) الماء الغدق :

---

[٥٠] سورة السجدة : ٨.
[٥١] سورة محمد : ١٥.
[٥٢] سورة محمد : ١٥.
[٥٣] سورة ق : ٩.
[٥٤] سورة القمر : ١١.
[٥٥] سورة الواقعة : ٣١-٣٢.
[٥٦] سورة الكهف : ٤١ .
[٥٧] سورة الملك : ٣٠ .

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

الوفـــيـــر ..... يقول تعالى: (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) [٥٨].

(١٧) الماء الفرات :

الشديد العذوبة . يقول تعالى: (وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا) [٥٩].

(١٨) الماء الثجاج :

وهو ماء السيل. يقول تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥)) [٦٠].

(١٩) الماء الدافق :

وهو ماء الرجل يخرج في دفقات. يقول تعالى: (خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)) [٦١].

(٢٠) الماء السراب :

ماء وهمي، تراه العين نصف النهار كأنه ماء وليس بماء. يقول تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) [٦٢].

(٢١) ماء الأنهار والينابيع :

الذي يسقط من السحاب فيجرى في مسالك معروفه . يقول تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [٦٣].

(٢٢) الماء السلسبيل :

وهو ماء في غايه من السلاسة وسهولة المراءة في الحلق من شدة العذوبة وينبع في الجنة من عين تسمى سلسبيلا لأن ماءها على هذه الصفة. يقول تعالى: (عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) [٦٤].

المطلب الثاني

دلالة الماء على الخير

وفي قوله تعالى: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) [٦٥] ، قال الرازي والمعنى انه تحذر حمل

---

[٥٨] سورة الجن : ١٦.
[٥٩] سورة المرسلات : ٢٧.
[٦٠] سورة النبأ : ١٤-١٥.
[٦١] سورة الطارق : ٦-٧.
[٦٢] سورة النور : ٣٩.
[٦٣] سورة الزمر : ٢١ .
[٦٤] سورة الانسان : ١٨.
[٦٥] النساء : ١٠٢.

مجلة دجلة • المجلد ٦ ،العدد ٤ (٢٠٢٣)، ص: ٣٨٣ ـ ٤٠١
ISSN: 2222-6583

السلام إما لأنه يصيبه بلل المطر وتفسد حدته أو لان من الأسلحة ما يكون مبطنا فينتقل على إذا ابتلل بالماء أو لاج لان الرجل كان مريضاً فيتق حمل السلاح فهنا له يضع حمل السلاح[٦٦]. اعتبر القرآن الكريم المطر أذى ولهذا جاء باسم المطر ولم يقل غيث أو ماء وفي قوله تعالى:(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) [٦٧]، يقول الزمخشري وقيل : أمطر عليهم ثم بهم . فإذا قلت : إي فرق بين مطر وأمطر يقال مطرتهم السماء درءا ممطور ومعنى مطرتهم : إصابتهم المطر كقولهم : غايتهم وويلتهم وجادتهم ورهمتهم ، ويقال أمطرت عليهم بهذا المعنى أرسلته عليهم إرسال المطر في قوله تعالى :(فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) [٦٨] ، وقوله تعالى: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً بمعنى الحجارة[٦٩] .

يقول الإمام أبي العود ((وأمطرنا عليهم مطراً)) إي نوعاً من المطر عجيباً وقد بينه قوله تعالى ((وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل)) قال أبو عبيدة مطر في الرحمة وأمطر في العذاب وقال الراغب في الجيل وأمطر في العذاب[٧٠].

وفي قوله تعالى: ((هو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطو وينشر رحمته وهو الولي الحميد))

ويقول السيد قطب وهذه لمسة أخرى كذلك كذكرهم بجانب من فضل الله على عباده في الأرض وقد غاب عنهم الغيث وانقطع منهم المطر ووقفوا عاجزين عن سبب الحياة الأول الماء وأدركهم اليأس والقنوط ثم نزل الله الغيث ويسعفهم بالمطر وينشر رحمته فتحيا الأرض ويخضر اليابس وينبت البذر ويترعرع النبات ويتلطف الجو وتنطلق الحياة وتنفتح أبواب الرحمة فتنفتح أبواب السماء.

الاستنتاجات:-

١- أن ابن كثير والسعدي رحمهما الله أكدا أن الله استدل بالماء على ربوبيته المستلزمة لوحدانيته، وهذا أمر لا يحتاج إلى بيان وتوضيح، لكن لما كان الموضوع هنا هو دراسة الماء دراسة عقدية نصصت على ذكرهما لهذا الأمر.

٢- اكد الله سبحانه وتعالى امره ببراهين لعبادته حيث أنه جعل الأرض فراشا، وجعل السماء بناءً، و أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لعباده.

---

[٦٦] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (٥٤٤هـ - ٦٠٤ هـ) ، نشر دار الفكر ، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .
[٦٧] الأعراف : ٨٤.
[٦٨] الأنفال : ٣٢ .
[٦٩] الزمخشري (ت ٦٠٦هـ) ، التفسير الكبير (ج ٥ / ص ٣٦٤) .
[٧٠] إرشاد العقل السليم ، أبو العود العمادي محمد بن محمود بن مصطفى ، دار المصحف ، مطبعة عبد الرحمن محمد – القاهرة ، ٢٠١٥/٧/١ .

٣- اعتبر القرآن الكريم المطر أذى ولهذا جاء باسم المطر ولم يقل غيث أو ماء وفي قوله تعالى: چ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ چ وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً بمعنى الحجارة.

٤- وقال محمد بن قاسم رحمه الله بعد أن ذكر أن منهج القرآن هو الاستدلال بالظواهر الكونية الدالة على الربوبية وأنها مستلزمة لتوحيد الألوهية.

٥- ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي مصطلح العبادة الجامعة، وهي اطاعة اوامر الله والابتعاد عن مانهى عنه وتصديق خبره، حيث استدل على وجوب عبادته ، بأنه ربكم الذي أنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة.

المصادر:-

القرآن الكريم

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، ١٩٩٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر تونس ، ١٩٨٤.

٣. تفسير القرآن العظيم ، ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، ط١، ١٤١٩هـ.

٤. التفسير الكبير : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ٢٠٠٠.

٦. الجامع لأحكام القرآن : ابو عبدالله محمد بن احمد الأنصار القرطبي ، تحقيق : احمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط٢، ١٩٦٤.

٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ.

٨. شرح العقيدة الأصفهانية : تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن علي بن عبد السلام بن عبد الله الحراني الحنبلي الدمشقي ، تحقيق: محمد بن رياض الاحمد ، المكتبة العصرية – بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ.

٩. شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبد الله الجبرين ، حققها وراجعها جماعة من العلماء ،

المكتب الإسلامي – بيروت ، ط ٩ ، ١٩٨٨.

١٠. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة : محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق : على بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض – السعودية ، ط ١ .

١١. فتح القدير : محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير . دمشق ، ط١، ١٤١٤هـ.

١٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة : محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت.